المعالم الأثرية والتاريخية لمدينة تبسة – دراسة تاريخية وصفية –

Historical and archaeological monuments of the city of tebessa - historical and descriptive study-

بوسليماني حياة *

جامعة 8 ماي 1945

bouslimani.hayat@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/02 تاريخ القبول 2023/04/14 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

تزخر مدينة تبسة بمعالم أثرية وتاريخية جد هامة، تعود لحضارات مختلفة تعاقبت على المنطقة، بدءً بالفترة الرومانية إلى الفترة الاستعمارية مرورا بالفترة البيزنطية والإسلامية، توجد تلك المعالم ضمن النسيج العمراني الحالي، وتتمثل في معالم رسمية، دينية، ترفيهية، وأخرى عسكرية.

الهدف من هذه الدراسة هو التعريف بتلك المعالم التي تحدت العوامل الطبيعية وربما البشرية وصمدت منذ زمن بعيد كما استطاعت أن تتعايش وتتمازج في شكل جميل مع البنايات المعاصرة. فما هي أهم تلك العمائر وما الفترات الزمنية التي شيدت فيها؟ للإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا إلى لم عدد من المراجع التي تتضمن دراسات سابقة يعود أقدمها إلى الفترة الاستعمارية، والتي تمثلت في مقالات وتقارير الحفريات والزيارات الاستطلاعية من طرف الرحالة والموظفين المدنيين والعسكريين ورجال الدين وغيرهم من الهواة الشغوفين بالبحث عن الآثار القديمة. كما أثرينا المقال بدراسات حديثة تمثلت في مقالات علمية نشرت في مجالات محكمة، ودراسات أكاديمية.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية : تبسة ؛ معالم ؛ رومانية ؛ بيزنطية ؛ عثمانية

Abstract:
The city of Tébessa is full of very important archaeological and historical monuments, dating back to different civilizations that succeeded in the region, starting with the roman period to the colonial period through the byzantine and Islamic period, these monuments are found within the current urban texture, and are religious, recreational, and military monuments.
The goal of this study is to identify those monuments that have survived for a long time and have been able to coexist beautifully with contemporary buildings. What are the most important of these buildings and the time periods in which they were built ? To answer this problem, we considered a number of references that include previous studies dating back to the colonial period.We also enriched the article with recent studies represented in scientific articles published in the fields of academic studies.
Keywords: Tébessa ; Monuments ; Roman ; Byzantin ; Otoman

مقدّمة :

تزخر مدينة تبسة بتراث أثري معماري هام، خلفته الحضارات التي تعاقبت على المنطقة منذ القدم، تتوزع تلك العمائر في مختلف أرجاء المدينة ضمن النسيج العمراني الحضري الحالي، وقد تعايشت وتمازجت معه بشكل رائع ما يعطي للقادم إلى المدينة فرصة زيارة معالم أثرية متنوعة بتنوع وظائفها وباختلاف الحقب الزمنية التي خلفتها، فنجند معالم تعود لفترة الإمبراطورية الرومانية العليا، وأخرى لفترة الإمبراطورية الرومانية السفلى، نجد في مدينة تبسة أيضا عمارة عسكرية تعود للفترة البيزنطية، إضافة إلى معلم يعود للفترة العثمانية، كما لا تخلو شوارع المدينة من عمائر تعود للحقبة الاستعمارية ولعل أهمها هي الكنيسة المسيحية التي بنيت باستعمال الحجارة المنحوتة والعناصر الفنية والمعمارية الرومانية، إضافة إلى سوق الخضر والفواكه الذي يؤدي وظيفته إلى يومنا.

حاولت من خلال هذا المقال إعطاء نظرة عامة ووصف مختصر لأهم المعالم الأثرية والتاريخية التي يجدها الزائر إلى المدينة كما حاولت إثراء المقال بمجموعة من الصور التي أخذت من الحساب الرسمي للديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، بتبسة، إذن فالهدف من هذه الدراسة هو التعريف بذلك الموروث المعماري الذي تحدى العوامل الطبيعية وربما البشرية وصمد منذ زمن بعيد كما استطاع أن يتعايش في شكل جميل مع البنايات المعاصرة.

فما هي أهم تلك العمائر وما الفترات الزمنية التي شيدت فيها؟

المبحث الأول : الإطار الجغرافي والتاريخي :

قمنا في هذا المبحث بتحديد الموقع الجغرافي لمدينة تبسة وكذا مختلف تضاريسها التي ساهمت بشكل فعال في مختلف الأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة عبر التاريخ القديم.

المطلب الأول : الموقع الجغرافي :

مدينة تبسة هي عاصمة الولاية الثانية عشر في التقسيم الإداري للجمهورية الجزائرية، وهي ولاية حدودية تقع في أقصى الشرق، يحدها شمالا ولاية سوق أهراس، غربا ولايتي خنشلة و أم البواقي، جنوبا ولاية الوادي أما شرقا فتحدها الجمهورية التونسية .

شيدت المدينة على سفح جبال تبسة، ومن أهم قممها جبل الدكان وجبل أزمور، ضمن سلسلة جبال الأوراس . يقابلها سهل المرجة، بذلك تحتل موقعا استراتيجيا هاما كونها محصنة طبيعيا بمرتفعاتها إضافة إلى وجود السهول بمحاذاتها وكذا أودية دائمة الجريان مثل وادي شبرو.

تعتبر نقطة ربط بين الساحل التونسي والهضاب العليا من جهة وبين الأراضي الإفريقية الوسطى ومناطق إنتاج القمح في الشمال، تمر عبر المدينة، منذ القدم، شبكة طرقات نحو مختلف المناطق المجاورة لها، تتمثل في:

طريق نحو الجنوب (الصحراء).- طريق نحو القيروان. – طريق نحو السيرتين. – طريقين نحو لمباز. – طريق نحو سيرتا. – طريق نحو هيبون. – طريق نحو الكاف. – طريق نحو قرطاجة.

المطلب الثاني : مدينة تبسة عبر التاريخ القديم:

من خلال هذا المطلب سنتطرق إلى مختلف الحضارات التي تعاقبت على المنطقة في الفترة القديمة، والتي خلفت، دون شك، آثار مادية بالغة الأهمية، ومن أجل ذلك قمنا بتقسيم المطلب إلى فروع يمثل كل فرع حقبة زمنية مختلفة.

الفرع الأول : فترة ما قبل الرومان :

نقصد بهذه المرحلة كل الحقب الزمنية التي سبقت الاحتلال الروماني للمنطقة منذ فجر التاريخ إلى تأسيس المدينة الرومانية.

العثور على مجموعة من النقوش الليبية بالمنطقة يثبت وجود سكان منذ زمن بعيد، وقد مارسوا نشاطات اقتصادية أهمها الرعي والزراعة، قبل قدوم الفينيقين إلى شمال أفريقيا، ويشهد على ذلك موقع تازبنت(1) الواقع على بضعة كيلومترات عن المدينة الحالية، إضافة إلى ما أسفرت عنه الحفريات التي أقيمت بالمقبرة الميغاليتية بمنطقة قستل، حيث عثر على أواني فخارية محلية، جزء منها معروض بمتحف الباردو بالجزائر العاصمة والبعض الآخر في متحف معبد مينرف بتبسة. فضلا عن العثور على عملات نقدية تعود لفترات حكم الملوك النوميد كعملة للملك ماسينيسا وعملة للملك يوغرطا.

كما أثبت البقايا الأثرية وجود الانسان بالمنطقة منذ عصور ماقبل التاريخ، فلا تخلو أي منطقة من ولاية تبسة (شمالها وجنوبها)، من بقايا تلك العصور الغابرة، وحاليا تجرى دراسات وأبحاث عديدة حول ما قبل التاريخ في تبسة، وقد أختير لها موقع جبل الدير أين تقام حفريات دورية لباحثين من المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الإنسان والتاريخ .

أما المصادر الأدبية الكلاسيكية، الإغريقية واللاتينية، فلم تتحدث بشكل مباشر عن مدينة تبسة بل أشير إليها في سياق سرد الأحداث التي وقعت في منطقة نوميديا الشرقية والتي كانت مدينة تبسة طرفا فيها، حيث ذكرت مساهمة الأمير النوميدي نيرهفاص أثناء ثورة الجند القرطاجي المأجور[2] خلال الحرب البونية الأولى، بإرسال فرقة عسكرية لمساعدة الشافط القرطاجي حانون (*Hannon*)[3].

تعتبر تبسة منطقة عبور مهمة إلى نوميديا فبدون شك خلال حرب يوغرطة، إلا أن سالوستوس لم يتحدث عن المنطقة بكونه يربط المناطق التي يتحدث عنها بالأحداث التي وقعت فيها، ما يجعلنا نجزم أنه لم يشهد معركة في جبال الدوكان تجعله يروي عنها.[4]

الفرع الثاني : الفترة الرومانية :

ذكر اسم مدينة تبسة القديم في النقائش اللاتينية، كما ذكرت الرتب الإدارية للمدينة خلال الفترة الرومانية حيث كانت برتبة بلدة (*Municipe*) ثم ارتقت لرتبة مستعمرة[5] (*Colonie*)، أما التسمية التي جاءت بها تلك الكتابات فكانت على النحو التالي: " *Thevestis*". هذه التسمية قد تكون من أصل محلي (أمازيغي)، وهذا لكون حرف الثاء (*Th*) الذي يبدأ به اسم المدينة، هو ميزة تركيب بنى الأسماء المؤنثة في اللغة الأمازيغية (أي حرف التأنيث)، ظلت المدينة تعرف بتيفاست، إلى غاية الفتوحات الإسلامية أين تحولت تسميتها إلى تبسة وبقي هذا الاسم إلى يومنا.

تعتبر مدينة تبسة من بين أقدم المدن الرومانية التي شيدت بشمال إفريقيا تقع في الطريق الرابط بين قرطاجة (العاصمة الإدارية لمقاطعة البروقنصلية) ولمباز (المدينة التي ستصبح العاصمة العسكرية لنوميديا بإيوائها لمعسكر الفيلق الأغطسي الثالث)، كما تربط المدينة شبكة طرقات بعدة مراكز داخلية وساحلية.

يعود تأسيس المدينة حسب الباحث الفرنسي(*Moll*)[6]. إلى فترة حكم الامبراطور الروماني فيسباسيانوس(69-79م.)، تحديدا بين سنتي 71 و 72 للميلاد اعتمدا على نقيشة عثر عليها عند مدخل الفوروم* أرخت بسنة 77م، سنة حصول الإمبراطور فيسباسيانوس على رتبة قنصل للمرة الخامسة، فحسب الباحث فإن المرافق الأساسية تبنى بعد تأسيس المدينة، فلو افترضنا أن الانتهاء من بناء المسرح* كان سنة 77م. فإن المدينة قد تأسست قبل ذلك بخمس أو ست سنوات (الفترة التي يستغرقها بناء مثل ذلك المبنى) . هذه الفرضية استبعدها الباحث جيرول كون النقيشة غير كاملة .إلا أنه لا يختلف الباحثون في كون تأسيس المدينة يعود لفترة حكم الامبراطور فيسباسيانوس.

تجدر الإشارة أيضا أن الفيلق الأغسطسي الثالث تم نقل مقره من مدينة أمايدرا (حيدرة التونسية حاليا) التي كانت معقله في فترة حكم أغسطس، إلى مدينة تيفاست في فترة حكم الإمبراطور فيسباسيانوس، لينقل مرة ثالثة نحو مدينة لمباز في سنة 100 م. رغم أن تأسيس المخيم كان في سنة 80 م. من طرف الإمبراطور تيتيوس، إلا أن نقل الفيلق تطلب وقتا نظرا لصعوبة التنقل في منطقة الأوراس.[7]

الفرع الثالث : الفترة الوندالية

يعتبر الشعب الوندالي من الأقوام البربرية الجرمانية. كان مسقط رأسهم شبه الجزيرة الاسكندينافية، عبروا بحر البلطيق واستقروا وسط أوروبا وبعد قرون من الهجرة نزلوا بأفريقيا بعد أن ضعفت الإمبراطورية الرومانية[8]، ولم يدم احتلالهم سوى قرن من الزمن ليستخلفهم البيزنطيون. أشارت المصادر القديمة على رأسهم كاتب البطريق البيزنطي صولومون وهو الكاتب بروكوب، إلى الأعمال الشنيعة التي ارتكبها الوندال بقيادة الملك جنسريق (429-477 م) في حق سكان شمال إفريقيا فلم تسلم من بشاعتهم الممتلكات ولا الأرواح ولا أماكن العبادة، لكن يبدو أن الأمر مبالغ فيه، وإلا كيف نفسر بقاء المعالم والمدن الرومانية على حالها، في المناطق التي عرفت الانتشار الوندالي، حيث تجسدت

سيطرتهم خاصة في مقاطعة البروقنصلية ومقاطعة بيزاكينا وشطرا من نوميديا، بينما شملت هذه السيطرة بنسبة ضئيلة ولوقت محدد كل من موريطانيا القيصرية والسطايفية ولم تمس مقاطعة موريطانيا الطنجية.

عرف المجال الاقتصادي تطورا كبيرا في فترة الوجود الوندالي بشمال أفريقيا، حيث اتخذوا المناطق التي تزخر بالأراضي الخصبة، فبقيت الفلاحة هي المصدر الأساسي للثروة، حيث نزعت الملكية من الطبقة الأرستقراطية ومن الكنيسة الكاثوليكية وبالمقابل وزعت على ما يقارب من 15000 إلى 20000 عائلة، وأكدت لوحات ألبرتيني التي عثر عليها جنوب تبسة على مدى تطور النشاط الفلاحي بالمنطقة، هذه اللوحات التي أرخت بفترة حكم الملك غونتاموند (484–496) تحمل نقائش لعقود البيع وتشجيع غرس أشجار التين والزيتون، وما يدل أكثر على النشاط الفلاحي المنتظم، هو كون كل الحقول مسجلة في السجل العقاري.(9)

من هنا يتضح أنا الشواهد المادية الأكيدة لوصول الوندال إلى المنطقة هي تلك الألواح، التي عثر عليها جنوب المدينة، أما في المدينة فلا نملك بقايا أثرية تؤكد ذلك .

الفرع الرابع: الفترة البيزنطية :

أبدى الامبراطور جوستينيانوس الذي اعتلى الحكم عام 527م عن رغبته في استرجاع، ما سماه أراضي أجداده، وإعادة تشكيل حدود الأمبراطورية الرومانية بما في ذلك شمال أفريقيا الذي وقع تحت قبضة الوندال ، وقد تحقق له ذلك بعد حملات حربية، بقيادة الجنرال بليزير وبعده البطريق صولومون، الذي بنى العديد من العمائر العسكرية على أنقاض المدن الرومانية، وفق القوانين التي سنها جوستينيانوس، من بين تلك العمائر نجد المدينة المحصنة بتبسة حيث أحيطت بعض المباني الرومانية بسور دفاعي معزز بأبراج بني وفق الأساليب التي تتطلبه الظروف الاستعجالية.(10)

المبحث الثاني : وصف أهم المباني الأثرية والتاريخية بالمدينة :

أقدم المباني التي يمكن أن يجدها الزائر إلى مدينة تبسة هي المباني الرومانية، حيث يعود أقدمها إلى السنوات الأولى من تأسيس المدينة، نذكر منها بقايا الفوروم، بقايا المسرح وقنطرة المياه، بالإضافة إلى مباني أخرى بنيت في فترات لاحقة. وفي التالي نقوم بوصف تلك المعالم.

المطلب الأول : المعبد المنسوب للمعبودة مينارف :

معلم روماني مصنف تراث وطني ضمن أراضي معالم تيفاست القديمة حسب الجريدة الرسمية رقم 07 الصادرة بتاريخ 1968/01/23.

عبارة عن بناية دينية وثنية نسب خطئا لعبادة إلهة الفنون والحكمة عند الرومان، الالهة مينرفا، أرخ المعلم بالقرن الثالث للميلاد، بني على أرضية مرتفعة فالولوج إليه يكون عبر سلالم حجرية كان عددها عشرون درجة[11]، لم يبق منها حاليا سوى ثلاثة عشر، شكله مستطيل مقاساته 9/14.80 م. ينقسم المعبد إلى قسمين القسم الأمامي هو البهو أو مقدمة المعلم (*pronaos*)، تأتي بعده مباشرة قاعة العبادة (*cella*)، كشفت التنقيبات التي أقيمت حول المعلم بوجود دهليز يحيط بالمعبد.

زين بهو المعبد بستة أعمدة رخامية، من الرخام الأبيض ذو العروق الزرقاء، أربعة منها موضوعة في الجهة الأمامية واثنان من الجهة الخلفية، تلك الأعمدة تعلوها تيجان كورنثية.

قاعة العبادة مغلقة من واجهاتها الثلاثة وتحتوي على مدخل في الواجهة التي تلي مباشرة البهو، القاعة مزينة بدعائم نصف مدمجة في الجدران، تحيط بها من كل الجوانب، تعلو تلك الدعائم تيجان كورنثية.

تحمل أعمدة البهو ودعائم القاعة إفريز حجري أفقي يغطي كل محيط المعبد[12]. الإفريز يحمل تزيينات متناوبة أنجزت بالنحت البارز، الإفريز تعلوه علّية (*Attique*)، مزخرفة أيضا بالنحت البارز وبالتناوب مثل الإفريز.ومن بين الزخارف التي يحملها الإفريز والعلية نجد مايلي:

زخارف لنسر مجنح يمسك في مخالبه بثعبانين تشتبك حولهما أوراق العنب.

زخارف لقرن الوفرة.

زخارف نباتية وأخرى للميدوز (*méduse*).

زخارف لجوائز وانتصارات عسكرية كالدروع والتروس والخوذات والفؤوس.

إضافة إلى زخارف لشخصيات مثل البطل هيركولاس بالصولجان والإله باخوس مكلل باللبلاب.

الجهة الأمامية من العلية بقيت دون زخارف، كونها الجهة التي كان من المفروض أن تستقبل لوحة رخامية تنقش عليها الكتابة الإهدائية، إلا أن ذلك لم يحدث(13) لسبب نجهله، وغياب النقيشة أدى بالباحثين إلى الوقوع في خطأ هوية الإله الذي شيد له هذا الصرح الفريد من نوعه.

نسب هذا المعبد بشكل خطأ لعبادة الإلهة مينرفا، لكن لا شيء من الزخارف التي يحتويها تذكرنا بطقوس تلك الإلهة وقد تسرع الباحث (*Ballu*) بالو(14) حين نسبه لتلك الإلهة وذلك عندما بدى له النسر المنحوت على الإفريز كأنه نحت للبومة، حيث يعتبر ذلك الطائر من ملاحق مينرفا. بعدها اختلف الباحثون في تحديد هوية الإله أو الآلهة الذين عبدوا في هذا المبنى، فالتزيينات توحي إلى كونه مكان لعبادة مجموعة من الآلهة على غرار باخوس وكيريراس ومارس ونصف الاله هيراكولاس...

أعيد استعمال المبنى في مختلف الفترات التي عرفتها المنطقة، ففي الفترة البيزنطية استعمل ككنيسة، أما في الفترة العثمانية فاستغل كمسكن، بينما كانت له وظائف عدة خلال الفترة الاستعمارية فكان ورشة لصناعة الصابون، مكتب للهندسة، مقر للقاضي المسلم، مطعم، سجن ثم متحفا منذ سنة 1873(15).

حاليا يحوي المتحف، المسير من طرف الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، مجموعات متحفية هائلة من تحف فخارية، زجاجية، برونزية... معروضة

في خزانات داخل القاعة كما زينت جدرانها وأرضيتها بلوحات فسيفسائية أما في الخارج فهيئت على محيط المبنى حديقة أثرية تضم مجموعات كبيرة من التماثيل والنصب والنقائش اللاتينية وكذا عناصر معمارية وفنية.

المطلب الثاني : قوس نصر الإمبراطور كركلا :

معلم روماني مصنف تراث وطني حسب الجريدة الرسمية رقم 48 المؤرخة ب 1982/11/30. بناية رسمية شيدت في القرن الثالث خلال فترة حكم العائلة السيفرية، بالتحديد بعد المبايعة الشعبية السابعة عشر للامبراطور كركلا اي بين سنتي 213 و214 م[16].

هذا الصرح المعماري يعتبر من أحسن نماذج أقواس النصر ذات الواجهات الأربعة (*quadrifons*)، كان يزين الساحة العمومية للمدينة حيث كان، دون شك، يقع في نقطة تقاطع الشارعين الرئيسيين (*decumanus maximus et cardo maximus*).

بني المبنى على أربع ركائز متقابة ومتناظرة مثنى مثنى، تحمل أقواس صغيرة فتشكل بذلك الواجهات الأربعة للمبنى، زينت كل واجهة بزوجين من الأعمدة الكورنثية وتتوسط كل قوس رصيعة صغيرة(*medaillon*) تحمل بداخلها نحت لشخصية معينة، وقد اختلف الباحثون في تحديد الشخصيات التي نحتت داخل كل رصيعة فيرى (*Sintes C.*) أنا الواجهة الشرقية تحمل نحت لوجه الامبراطور سيبتيموس سيفيروس، الواجهة الغربية تحمل نحت لوجه زوجته جوليا دومنا التي مثلت كحامية للمدينة، الواجهة الجنوبية تحمل نحت لوجه الامبراطور كركلا، بينما بقيت الواجهة الشمالية دون رصيعة، أما باحثين آخرين على غرار (*Gsell St.*)فيرون أن الشخصيات المجسدة على الرصيعات هي شخصيات دينية على النحو التالي :

الواجهة الشرقية نحتت فيها رصيعة للإلهة مينرف.

الواجهة الجنوبية نحتت فيها رصيعة لنصف الإله هرقل.

الواجهة الغربية نحتت فيها رصيعة للإله تيشي(ربما حامية تبسة)، استند في ذلك الباحثين إلى كون التمثال النصفي المنحوت على الرصيعة مزين بتاج على شكل برج، وترى الباحثة الفرنسية الفقيدة (*Hamdoune C.*) في مقالها الذي نشر بمجلة أوراس في عددها السادس أن الملاحق المجسدة غير كافية للجزم، إضافة إلى كون ملامح وجه المنحوتة ملامح إفريقية فعلى الأرجح تكون بالإلهة كايليستيس[17].

أما الواجهة الجنوبية فليس فيها رصيعة فربما اختفت أو لم تنحت من أصله.

تعلو الواجهات الأربعة برزة (*Entablement*)، مزينة بإفريز به زخارف نباتية كالوريدات والأوراق، يعلو الإفريز علية (*Attique*) فوقها طلتين (*deux édicules*)، لم يبق في الوقت الحالي سوى واحدة، هذه الأخيرة مزينة بأعمدة صغيرة وكانت تحمل تمثالين للامبراطورين كركلا وجيتا.

تحمل العلية في واجهاتها نقائش كتابية اهدائية للشخصيات المجسدة في كل رصيعة،فيرى (*Sintes C.*)[18] أن النقيشة الشرقية مهداة للإمبراطور سيبتيموس سيفيروس الذي نعت بالمؤله، ففسر ذلك بكون النص وضع بعد وفاته. الواجهة الغربية تحمل نص مهدى للإمبراطورة جوليا دومنا زوجة سيبتيموس سيفيروس على أنها الحامية للمدينة، أما الواجهة الجنوبية فتحمل نص مهدى للامبراطور كركلا مؤرخ بين 213 و214 م.

الواجهة الشمالية لا تحمل كتابة، فوضع فيها ضباط الجيش الفرنسي نقيشة بيزنطية عثر عليها في مكان مجهول، هذه النقيشة تتحث عن اعادة بناء المدينة من طرف البطريق صولومون.

يحتوي القوس على نقيشة أخرى تتحدث عن وصية (*Cornelius Egrelianus*) الذي كان حاكما للفرقة الرابعة عشر لجميناي، ترك وصية لورثائه تحمل ما يلي:

تخصيص مبلغ 250000 سيسترس لبناء معلم مخلد للإمبراطوريين الحاكمين في تلك الفترة وهما كركلا و جيتا، مع وضع تمثالين لهما فوق المعلم وكذا تمثالان للإلهة مينرفا والإمبراطور سيبتيموس سيفيروس في الساحة العمومية.

تخصيص مبلغ 250000 سيسترس لتشييد حمامات عمومية، و تكون مجانية للسكان خلال أيام معينة .كما خصص قيمة مالية أخرى لوضع أشياء ثمينة في معبد الكابتول(19).

خلال القرن السادس ميلادي، أثناء تشييد القلعة البيزنطية من طرف البطريق صولومون، أدمج هذا القوس فأصبح بابا رئيسيا للمدينة وكذا برجا للمراقبة.

في الفترة الحالية ينتظر هذا المعلم تدخل الجهات المعنية من أجل ترميم واستكمال الأجزاء التي فقدها على غرار عمودين كورنثين، اختفيا منذ فترة طويلة ولم يتم تعويضهما لحد الآن .

المطلب الثالث : المدرج (السرك) :

معلما مصنفا تراثا وطنيا حسب الجريدة الرسمية رقم 48 الصادرة بتاريخ 1982/11/30.

يقع خارج أسوار المدينة البيزنطية، وهو معلم روماني من صنف المعالم العمومية الترفيهية، شيد بشكل بيضوي مقاساته الإجمالية حوالي 80 /70 م. كان يتسع لنحو 7000 متفرجا(20). ما يمكن مشاهدته اليوم هو بقايا للحلبة ومجموعة من الحجارة المنحوتة المتراكمة.

أول من قام بوصف المعلم هو القائد مول (*Capitaine Moll*) وهو ضابط عسكري بالجيش الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية، حيث قام بوصف لكل المعالم الأثرية الخاصة بالمدينة ونشر ذلك في مقالين بالمجلة الأثرية لقسنطينة (*Annuaire de la Société*

Archéologique de la province de Constantine) خصص المقال الأول للمعالم الرومانية بينما خصص الثاني للفترة الوندالية والبيزنطية.

حسب مول فإن المعلم يقع جنوب آثار المدينة القديمة وهو معلم بسيط ولا يملك خصوصية تميزه عن باقي المسارح المدرجة الرومانية، يحتوي على حلبة بيضوية الشكل قطرها بين 54 و 50 م. وهي محاطة بصفوف من المدرجات قد تصل إلى 15 صفا وقد تتعدى ذلك، بنيت المدرجات بالحجارة المصقولة.

يحتوي المعلم أيضا على سلالم تؤدي إلى أماكن جلوس المتفرجين كل حسب رتبته الاجتماعية، حيث تخصص الصفوف الأولى لأعيان المدينة، بينما تخصص الصفوف الأخيرة للأشخاص الأقل شأنا في المجتمع، الذين عادة ما يشاهدون العروض واقفين.

يتم ولوج المتصارعون والحيوانات المفترسة إلى حلبة المسرح عبر مدخلين متقابلين، الأول خاص بالحيوانات المفترسة والثاني خاص بالمتصارعين، بني المدخلين بتقنية العقود فكل مدخل عبارة عن عقدين متجاورين (*Voûtes Juxtaposées*).

حسب مول فإن الكثير من حجارة المعلم أعيد استعمالها في بناء السور الذي أحيط بالمدينة في الفترة البيزنطية. كما استعملت أيضا الحجارة الصغيرة في تشييد أولى بنايات الفترة الاستعمارية[(21)].

أما عن تاريخ بنائه فاختلفت الدراسات حول ذلك خاصة في ظل غياب أي دليل مادي يؤكد أو ينفي الفرضيات، حيث لم يتم العثور لحد اليوم على نقيشة تشييد هذا الصرح، فترى الدراسات الأولى أنه من أقدم المعالم الذي شيد في المدينة ويعود إلى فترة حكم العائلة السيفرية ويرى مول أن تاريخ بنائه يكون محصورا بين سنتي 75 و80م. بينما يرى سانتاس أن هذا المعلم يعود للقرن الرابع ميلادي.

لم يحض هذا المعلم بدراسة ولم يستفد من مشروع ترميم رغم أهميته، وكون موقعه الحالي قريب من سوق الخضر والفواكه جعل منه مفرغة للتجار، رغم حملات التنظيف

التي تبادر بها الجمعيات الثقافية وعمال الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، التي تبقى غير كافية أمام غياب الوعي لدى المواطنين.

المطلب الرابع : كنيسة القديسة كريسبين :

معلم ديني مسيحي مصنف تراثا وطنيا حسب الجريدة الرسمية رقم 48 المؤرخة بـ 1982/11/30.

عبارة عن صرح ديني مسيحي كبير يبعد حوالي 500 م. شمال قوس النصر يتربع على مساحة 20 ألف م^2. محاط بسور غير منتظم، اختلف الباحثون عن وظيفته الأولى فيرى البعض على غرار (*Castel P.*)[22] أنها كانت بازيليكا قضائية، وذهب (*Ballu A.*)[23] للقول أنه دير محصن، لكن بعد التنقيبات والعثور على الدواميس التي كانت تمارس فيها الديانة المسيحية في فترات الإضطهاد ، خرج (*Gsell St.*)[24] بالقول أن هذا الصرح بني لغرض ديني ولم يتم تحويل وظيفته من مدنية إلى دينية، فيرى أنه يعود لنهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس مع انتصار الديانة المسيحية واعلانها ديانة رسمية للامبراطورية الرومانية بعد أن تبناها رسميا الإمبراطور قسطنطين.

إذن فهذه الكنيسة بنيت على شرف الشهداء وعلى رأسهم القديسة كريسبين، فأصبحت محج للعديد من المسيحيين الذين يقصدونها للزيارة والتبرك خاصة لو أخذنا بعين الاعتبار العثور على رفات شهداء الاضطهاد في السراديب.

يحتوي هذا الصرح الديني على عدة ملاحق وهي :

الكنيسة الكبرى.

كنيسة القديسة كريسبين.

كنيسة قابينيلا

كما يحتوي أيضا على ممشى كبير مبلط، حدائق وساحة مستطيلة، غرف ، اصطبلات بالإضافة إلى أحواض للتعميد.

استغلت هذه الكنيسة في الفترة البيزنطية، حيث عرفت الديانة المسيحية أوجها، فأحيطت بسور دفاعي.

المطلب الخامس : السور البيزنطي :

صنف معلما وطنيا حسب الجريدة الرسمية رقم 48 المؤرخة بـ 1982/11/30.يعتبر السور البيزنطي من البنايات العسكرية، شيد في الفترة البيزنطية من طرف البطريق صولومون، هذه البناية بمثابة مدينة محصنة (*Civitas*) مساحتها حوالي 8.5 هكتار شيدها البيزنطيون على أنقاض المدينة الرومانية في ظروف استعجالية ما أدى إلى استعمال مواد بناء مأخوذة مباشرة من العمائر الرومانية كما اعتمدوا على مبدأ تقليص الفضاءات، كون الجيش البيزنطي أقل تعدادا وعتادا من الجيش الروماني، لذا نجد العديد من البنايات الرومانية خارج سور المدينة البيزنطية.[25]

بني السور بشكل مستطيل طوله 320 وعرضه280م. جدرانه عالية تصل إلى 10أمتار معززة بأبراج عالية عددها 14 برجا يصل ارتفاعها إلى 17 م. يتخلل السور ثلاث أبواب:

- ✓ الضلع الجنوبي باب شالة.
- ✓ الضلع الشرقي باب صلمون
- ✓ الضلع الشمالي باب كركلا (وهو قوس النصر الذي بني في فترة الامبراطورية الرومانية أعيد استعماله في الفترة البيزنطية كمدخل رئيسي للمدينة).[26]

كما استحدث في الجهة الشمالية الغربية من السور باب كبير في الفترة الاستعمارية سمي بباب قسنطينة.

المطلب السادس : المسجد العتيق :

يعتبر المسجد العتيق من أقدم مساجد المدينة يعود تاريخ تشييده إلى الفترة العثمانية، بني داخل أسورا المدينة البيزنطية، استعمل فيه بقايا من مواد البناء المدينة العتيقة من تيجان وأعمدة رخامية وكذا الحجارة المصقولة، يحتوي المسجد على مئذنة واحدة وقبة.

المطلب السابع : كنيسة الفترة الإستعمارية :

معلم ديني مسيحي بني في الفترة الاستعمارية، بدأت أشغال بنائه سنة 1885 وانتهت سنة 1908، بني داخل سور المدينة البيزنطية على بعد حوالي 50 م. غرب معبد مينرف، استعمل في بناء هذا المعلم مواد بناء مأخوذة من بقايا المدينة العتيقة، من حجارة وأعمدة وتيجان وغيرها من العناصر المعمارية والزخرفية.

خلال سنة 1971 حول هذا المعلم الديني إلى متحف لاستقبال التحف الأثرية التي لم يعد يسعها متحف معبد مينرف.

المطلب الثامن : سوق الخضر والفواكه :

يعتبر سوق الخضر والفواكه لمدينة تبسة تحفة معمارية نادرة شيد سنة 1905، ولا يزال يقدم خدماته إلى يومنا إلا أنه يعاني في السنوات الأخيرة نوعا من الإهمال من طرف السكان مما يستدعي التدخل العاجل لإنقاذه والسعي نحو تصنيفه ضمن قائمة المعالم المصنفة تراثا وطنيا.

خاتمة :

من خلال هذه الدراسة المختصرة نرجو أن نكون وفقنا في منح زائر مدينة تبسة جولة عبر مختلف الحضارات التي تعاقبت على المنطقة من خلال المعالم التي خلفتها، وذلك من الفترة الرومانية إلى الفترة الاستعمارية كل ذلك في عمق مدينة حضرية معاصرة، كما نأمل أن تلقى تلك المعالم، التي تعتبر في الغالب تحف فريدة من نوعها، اهتماما أكثر من طرف الجهات المعنية قصد الحفاظ على موروثنا الثقافي .

الهوامش :

(1) - للتوسع أكثر أنظر :

Baradez J., Fossatum Africae, Recherches Aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque Romaine.

(2)– شنيتي م.ب.، الجزائر، قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، عين مليلة، 2013، ص.149.

(3) - Blas De Robles J.-M. et Sintes C., sites et monuments antiques de l'Algérie, Edisud Archéologie, Arles, 1996, p. 220.

(4) - GIROL A., Notes Archéologiques sur Theveste et ses environs, dans Rec. De Const ., 1866, P.177.

(5)- De Roche S., Tébessa antique Theveste, Alger, 1952, P.12.

(6) – Moll M., Mémoire Historique et Archéologique sur Tébessa et ses environs, dans Annuaire de la Société Archéologique de la province de Constantine, 1858-1859, P.30.

*- حاليا لا نجد أي أثر للفوروم الروماني الذي تحدث عنه Moll M.

* – يتعلق الأمر بالمسرح الذي لم يبق منه شيء، في الوقت الحالي وليس المسرح المرج أو السيرك.

(7) – Leydier A.M., Op.-Cit., p.12.

(8) – دريسي (س.)، البيزنطيون في شمال أفريقيا، الاحتلال والعمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2007. ص. 33

(9) – دريسي (س.)، المرجع السابق، ص. 53

(10) – للتوسع أكثر طالع : دريسي (س.) ، المرجع السابق.

(11) – Blas de Robles J.M. et Sintes C., Op.-Cit., P. 223.

(12) – Gsell St., M.A.A. 1, P. 135-137.

(13) - Blas de Robles J.M. et Sintes C., Op.cit P. 224

(14) –Ballu A., Monuments Antique de l'Algérie, Tébessa, Lambèse, Timgad, conférence faite au palais du Trocadéro, le 11 décembre 1893, Paris, 1894, P. 14.

(15) - De Roche S., op.-cit., p.29.

(16) – Hamdoune Ch., Le Testament de C.Cornelius Egrelianus, ILA I 3040, dans AOURAS, , 2010, P.238.

(17) – Hamdoune Ch., Op.Cit, P. 249-250.

(18) - Blas de Robles J.M. et Sintes C., Op.-Cit., P. 225.

(19) – Hamdoune Ch., Op.-Cit., P. 238

(20) - Blas de Robles J.M. et Sintes C., Op.-Cit., P. 221

(21) – Moll M., Op.-Cit., P.P. 41-45.

(22)- Castel P., Histoire et description d'un territoire Algérien, Paris 1904, p.

(23)- Ballu A., Le Monastère Byzantin de Tébessa, Paris 1897.

(24) – Gsell St., M.A.A.II.P.266.

(25) – دريسي (س.) ، المرجع السابق، ص. 56

(26) – مداد (ك.) ، حفظ وترميم الأسوار الدفاعية البيزنطية لمدينة تبسة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2009/2008، ص– ص. 14-15.